جامعة خميس مليانة

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية – قسم العلوم الاجتماعية – شعبة الفلسفة

السداسي الثاني السنة الجامعية 2021 / 2022

المستوى: السنة الأولى ماستر - تخصص: فلسفة عربية إسلامية

المادة: الفكر العلماني في عصر النهضة العربية المعاصرة - اسم الوحدة: استكشافية

أستاذ المادة: د / حميد مخوخ

المحاضرة الأولى

مدخل لدراسة الفكر العلماني في فكرالنهضة العربية الإسلامية الحديثة

مقدمة

النهضة العربية أو كما تعرف باليقظة العربية هي المرحلة الفكرية الاجتماعية و السياسية التي سادت البلاد العربية خلال فترة القرن السابع عشر إلى القرن العشرين، و كان الهدف منها إعادة بعث اللغة العربية من جديد مما تميزت به من تقهقر خلال فترة الانحطاط، و إيقاظ مشاعر الهوية الوطنية و القومية العربية و الدين الإسلامي و الحرية و العدالة و المساواة، الإصلاح السياسي و الاجتماعي و الاقتصادي و الثقافي في البلاد العربية الإسلامية، لذلك نجد أغلب روادها قد انقسموا إلى تيارت فكرية و سياسية بعضها يتبنى المشروع الإصلاحي الديني بما يتضمنه من الاتجاه السلفي و الاتجاه الأصولي بعضها يتضمن المشروع الفكري العلماني متأثرا بمنتجات الحضارة الأوروبية و شعار الثورة الفرنسية: الحرية، المساواة، الأخوة، و بفلاسفة عصر التنوير الأوروبيين. كما ناقش هؤلاء المفكرون قضايا الهوية في البلاد العربية باختلاف مناطقها و علاقة ذلك بالرابطة العثمانية، و عارضوا السلطة المركزية التي كان يمارسها السلطان " عبد الحميد باشا " و نادوا بضرورة جعلها لامركزية، و لعل كتاب " طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد ل"عبد الرحمان الكواكبي" كان أهم كتاب سياسي و اجتماعي تم تأليفه في تلك الفترة.

غبر أن تحديد البدايات الأولى لفكر النهضة العربية المعاصرة طرح إشكالية المنطلق التاريخي للأسس الأولى لهذا الفكر النهضوي، نظرا لاختلاف المصادر التاريخية و قلتها في هذا الموضوع و اختلاف الباحثين في قراءاتهم للأفكار النهضوية. فقد ذهب المفكر " ألبرت الخوري " إلى أن بداية النهضة العربية المعاصرة كان في 1798 و ربط ذلك بالحملة البونابارنية على مصر و محاولة "محمد علي " وضع مشروع حضاري لكيفية تأسيس مصر الحديثة، أما باحثون آخرون فقد ربطوا ذلك بدخول

" إبراهيم باشا " إلى سوريا عام 1832، أما الباحث اللبناني " وليد نويهض " فقد أرجع ذلك إلى القرن السادس عشر.

و مهما يكن فإن ذلك يطرح التساؤل التالي: ما هي بالتحديد اللحظة التاريخية لظهور فكر النهضة العربية الحديثة؟، و إذا كان المشروع النهضوي العربي قد بدأ مع مطلع القرن الثامن عشر كما يعتقد كثير من الباحثين، فماذا كان يفعل المفكرون العرب خلال الفترة الممتدة بين عهد الانحطاط أي أواخر القرن الرائع عشر الميلادي حتي بداية القرن الثامن عشر؟، أيعني ذلك انعدام كلي للنشاط الفكري العربي الإسلامي خلال هذه الفترة، أم كانت هناك مساهمات جزئية في الحركة الفكرية العربية الإسلامية؟ ، و إذا كانت هناك مساهمات فكرية عربية فما طبيعتها و ما هي مجالاتها، و أهدافها؟، كيف ظهر الاتجاه العلماني في هذا المشروع الفكري النهضوي العربي الإسلامي؟

1- البدايات الأولى للمشروع الفكري النهضوي العربي الحديث

ذهب الباحث و المفكر اللبناني " وليد نويهض " إلى أن ميلاد الأفكار النهضوية في البلاد العربية كان منذ القرن السادس عشر، حيث عرفت البلاد العربية هيمنة الإمبراطورية العثمانية على كل أقطارها باسم الخلافة الإسلامية بعد سقوطها في بغداد و نهاية عصر الخلافة العباسية، بسبب التصدع الذي أصابها و انقسامها إلى مقاطعات و دويلات ضعيفة كانت أسهل عليها أن يغزوها التتار و المغول، و حرقها.

و قد كانت البدايات الأولى للأفكار النهضوية العربية نتيجة أزمات سياسية و قومية في المجتمع العربي، فمن الناحية السياسية كان هناك تفاهم سياسي بين الحكومة الفرنسية و الدولة العثمانية سواء في بلاد الشرق من سوريا و لبنان و مصر و في بلاد المغرب في الجزائر و تونس و المغرب الأقصى. و من الجانب القومي كانت هناك طوائف دينية و مذهبية متصارعة حالت دون تحقيق هذا الاستقلال الفكري و الفلسفي الذي طمح إليه المفكرون، هذه الأزمات و الظروف و التحولات جعلت المفكرين يكتفون بإطلاق أفكارهم و نشرها خاصة بعد امتلاكهم الطباعة.

و قد انقسم المفكرون في تكوينهم الإيديولوجي إلى حلقات سياسية و تيارات متعارضة، تأثرت بالظروف التاريخية التي أحاطت بها، و لهذا نجد حركة النهضة العربية قد مرت بثلاثة أجيال أو مراحل هي :

- المرحلة أو الجيل الأول: تشكل بين القرنين 16 و 17.
- المرحلة أو الجيل الثاني: تشكل بين القرنين 18 و 19.
- المرحلة أو الجيل الثالث: تشكل مع نهاية القرن19 و القرن 20.

1- المرحلة أو الجيل الأول: يمثل البداية الأولى لتأسيس فكر النهضة العربية المعاصرة ما بين القرن 16 و القرن 17، و خلال هذه الفترة تلقى المفكرون العرب تعليمهم في الغرب عن طريق البعثات العلمية إلى روما و باريس لدراسة الدين و الفقه المسيحي (فكر اللاهوت المسيحي)، و ما يتفرع عنه من معارف فلسفية سيطر عليها الطابع الديني، و قد كان التفكير الفلسفي في أوروبا آنذاك قد تأثر تأثرا بالغا بالقرآن الكريم و الفقه الإسلامي و المدارس الفلسفية الإسلامية التي كانت قد شقت طريقها إلى أوروبا قبل نشوء النهضة الأوروبية الحديثة.

و خلال هذه الفترة ظهر جيل من المفكرين الفلاسفة اللبنانيين لعبوا دورهم في التأثير على وعي فئات اجتماعية تسنت لها فرصة التعلم في مدارس الإرساليات، التي توزعت على مناطق المسيحيين في جبل لبنان، و قد جاء معظم هؤلاء الفلاسفة من قرى كانت تسيطر عليها الثقافة المحلية و علاقات اجتماعية ريفية، تتحكم فيها مؤسسات دينية تربطها علاقات مميزة مع الفاتيكان و فرنسا الكاثوليكية، و خلال تلك الفترة برزت ما عرف **بالمدرسة المارونية** و هي مؤسسة تعليمية مسيحية لبنانية نشأت في روما و بعدها نقلها **نابليون** إلى باريس في فرنسا، و أهمية هذه المدرسة تكمن في دورها السياسي الذي لعبته في تشكيل الجسر التاريخي و الثقافي الذي ربط بين أوروبا و بلاد الشام.

قامت **المدرسة المارونية** بتنقية الفكر الاستشرافي و تطهيره من تلك الخرافات و الشعوذة المنسوبة إلى الإسلام و التاريخ العربي خاصة في روما و باريس، و قد أزاح تلاميذ هذه المدرسة (و هم عرب مسيحيين) الكثير من الغموض الذي كان يسيطر على المفكرين الأوروبيين، و ذلك من خلال الاطلاع على السجلات و البحوث و الترجمات التي أسهمت على إلقاء الضوء على الزوايا الغامضة بسبب اللغة، و كان من أبرز تلاميذ **المدرسة المارونية** و فلاسفة القرن 17 الأب **بطرس التلاوي**[1] الذي لعب دورا أساسيا في تشكيل الجيل الثاني و الثالث، من خلال نقله لكثير من السجلات و الكتب من أوروبا إلى المشرق، و هي سجلات تحمل العلوم السائدة في عصره مثل علوم المنطق و الفلسفة و الدين المسيحي، و قد قدم لتلاميذ الجيل الثاني و الثالث فكرة موجزة عن تلك النقاشات التي كانت دائرة بين التيار اللاهوتي و التيار الرشدي الفلسفي، و بحكم موقع الأب **بطرس التولاوي** انتقد كثيرا من أفكار **جون سكوت**، خصوصا تلك المتعلقة بالخالق و السيد المسيح، كما قام بترجمة بعض أعمال القديس **توما الإكويني**، كذلك اهتم بتلك الدراسات التي اشتغل عليها القديس **دنس سكوت** في الفلسفة و صلتها بالدين,

[1]- الأب **بطرس التولاوي** رجل دين عربي لبناني مسيحي ولد عام 1657 درس في **المدرسة المارونية** في روما عام 1668 ثم عاد إلى لبنان عام 1682 و قد كلفه الأب **استفان الدويهي** مباشرة مسؤولية التدريس في **المدرسة المارونية** حتى توفي عام 1746.

تراوحت مؤلفاته بين 15 و 25 كتابا تعرضت لكثير من علوم عصره و اشتملت على سجلات علمية خاصة ما تعلق بالمنطق.

كان برنامج الدراسة في **المدرسة المارونية** يقتصر على تدريس اللغة العربية و الإيطالية و الفرنسية و اللغات القديمة كالسريانية و اليونانية، و تعليم الدين و الفقه و المنطق و الفلسفة خاصة الفلسفة الأوروبية المسيحية التي أسسها القديس **توما الإكويني**، الذي تأثر بالفلسفة الإسلامية عبر مؤلفات و أعمال **أبو نصر الفارابي** و **ابن سينا** و **الغزالي** و **ابن رشد**. و بسبب هذه الصلة الخفية بين الفلسفة العربية الإسلامية و الفلسفة الأوروبية في طورها الأول، تشكلت قاعدة قوية لتلك العلاقة المنهجية التاريخية بين الحضارة اليونانية و العربية الإسلامية و الأوروبية، و هذا ما اشتغل عليه تلاميذ **المدرية المارونية**، و أسهموا بعد ذلك إسهاما عظيما في التأثير على جيل النهضة، في تشكيل وعيهم التاريخي الذي مزج بين ثقافات و حضارات حوض البحر الأبيض المتوسط التي هي الثقافة اليونانية و العربية الإسلامية و الأوروبية.

لقد ساهم تلاميذ الجيل الأول الذين تخرجوا من **المدرسة المارونية** في بلورة فكر النهضة العربية المعاصرة في القرنين 18 و 19 ، حتى و إن كانوا مجهولين الهوية لدى الكثير من الباحثين المؤرخين، و ذلك عن طريق نقل المعارف الأوروبية في طابعها الديني و الفلسفي إلى البلاد العربية خاصة بلاد المشرق، ذلك ما قام به الأب **بطرس التولاوي**.

2- الجيل أو المرحلة الثانية: تخرج تلاميذ هذا الجبل على يد تلاميذ الجيل الأول و هم يشكلون النواة الثانية لقيام فكر النهضة العربية المعاصرة خلال فترة القرنين 18 و 19 و خير من يمثل هذا الجيل الشاعر اللبناني **نصيف اليازجي** 1800م و **أحمد فارس الشدياق** 1805م و **بطرس البستاني** 1819م، و كل هؤلاء التلاميذ تخرجوا من **المدرسة المارونية** بعد أن أكملوا دراستهم في مدرستي **عين ورقة** و **عين طورة** اللبنانيتين. **فأحمد فارس الشدياق** مثلا درس المنطق و الفلسفة واللاهوت و اللغة العربية و السريانية و البلاغة في مدرسة **عين ورقة**، و **بطرس البستاني** درس أولا في الكتاتيب على يد **ميخائيل البستاني** ثم أرسل إلى مدرسة **عين ورقة** فدرس اللغة العربية و السريانية و اللاتينية و الإيطالية، و الفلسفة و اللاهوت المسيحي، ثم انتقل إلى مدرسة **عين طورة**.

هذه الشبكة من المدارس التعليمية التي أشرفت عليها الرهبانية المارونية و حركات التبشير الديني و الإرساليات في المشرق العربي، لعبت دورا أساسيا في تشكيل الجيل الثالث من المفكرين المعاصرين، و ما تفرع عنها من إيديولوجيات قومية و علمانية و وطنية و اشتراكية و غيرها.

3- الجيل أو المرحلة الثالثة: يعتبر الحيل الثالث نتاج الجيل الأول و الجيل الثاني و هو الذي بلور فكر النهضة العربية المعاصرة بداية من نهاية القرن19 و القرن 20 ، و ذلك على أساس الوعي القومي و الإصلاحي و العلماني الذي أسسه المفكرون الأوائل أمثال **بطرس البستاني** و **أحمد فارس الشدياق**. إلا أن بناء فكر النهضة العربية المعاصرة مع أبناء الجيل الثالث، كان على قاعدة انقسامات إيديولوجية موروثة من أبناء الجيل الثاني خاصة ممن كان يمثله، لاسيما **بطرس البستاني** و **أحمد فارس الشدياق،** و قد كانت أهمية هذان المفكران العبقريان أنهما حاولا نقل أفكارهما من ميدان الفكر النظري إلى التوعية و الممارسة الميدانية، و ذلك عبر تأسيس المدارس و الصحف، و قد شكل ذلك خطوة مهمة في تكوين مؤسسات مستقلة عن الفكر الأوروبي المسيحي، و تهدف إلى تكوين طلبة يحملون ذلك الوعي القومي الوطني و عدم إخضاعه للدين و كان ذلك بداية الوعي بالعلمانية و كل ما تعنيه من فصل الدين عن الدولة.

غير أن هذا الوعي العلماني كان قد اصطدم بالأصول الريفية لنمط الحياة و التفكير الذي كان نتاج التكوين الديني، و قد لعب ذلك دورا كبيرا في تغليب الاتجاه القومي الوطني على الاتجاه العلماني، و قد أدى ذلك إلى انقسامات إيديولوجية و طائفية، و من ثم انقسم مؤسسو الفكر النهضوي العربي المعاصر إلى تيارين: تيار علماني قومي، و تيار إصلاحي ديني إسلامي، و ذلك بسبب تأثير حركات التبشير الديني من جهة و تصادمها مع الكنائس الشرقية العربية التي وجدت في المدارس الإنجيلية و البروتستانتية منافسة قوية من جهة أخرى، و هذا خاصة بعدما غير **بطرس البستاني** مذهبه من الماروني الكاثوليكي إلى الإنجيلي البروتستانتي، و دخول **أحمد فارس الشدياق** في الإسلام و تخليه عن المسيحية.

لكن مهما كان الاختلاف بين التيارين إلا أن هناك قواسم مشتركة بينهما، لاسيما الاقتناع بأهمية العلم و ضرورة طلبه معتمدا في ذلك على العقلانية، و كذلك الدعوة إلى الانفتاح على الحضارة الفكرية الغربية خاصة و الحضارة العلمية العالمية عامة، ثم أن الإصلاح و النهضة لابد أن يتما تدريجيا و يكون لهما أبعاد اجتماعية فيشمل النظام السياسي و التربية و التعليم و الاقتصاد و طرائق الحياة و الأخلاق و غيرها، و من ثم يكون كلا التيارين قد قبلا مشروع الحداثة الغربية كمشروع حضاري يجب محاكاته.[1]

[1]- وليد نويهض، **صحيفة الوسط البحرينية**، العدد 1589، 12 يناير 2007

و من جهة أخرى قامت في البلاد العربية حركات فكرية نادت بضرورة الإصلاح الديني الإسلامي، من أجل الخروج من التخلف و الانحطاط الذي أصبحت تتخبط فيه البلاد العربية الإسلامية، بسبب انتشار البدع و الخرافات و ارتباطها بالتعاليم الدينية الإسلامية، و هو العمل الذي كرست الحركات التبشيرية المسيحية كل جهودها من أجل تحقيقه و تثبيته، خاصة مع تزايد الغزو الحضاري و النشاط الاستعماري الأوروبي الذي أثار المشاعر الدينية و القومية في العالم العربي و الإسلامي كله، بالحقد و الكراهية للأتراك و العرب والمسلمين، إذ أخذ الأوروبيون المستعمرون يحرضون شعوب جنوب أوروبا على التحرر من وحشية المسلمين، و كذا الهجمات العنيفة التي كان يشنها رجال السياسة و الكتاب الأوروبيون على الإسلام و عقيدته زاعمين أن السبب الرئيس لتخلف المسلمين و همجيتهم هو الإسلام الذي لا يصلح لأن يكون أساسا لبناء حضارة متقدمة، مما حفز تركيا في المقابل على المناداة يتماسك الشعوب الإسلامية أمام الزحف الأوروبي و أطماعه[1]، ذلك أن الدولة العثمانية التي كانت تمثل رمز الخلافة الإسلامية بدأت تسير في طريق التدهور حيث بدأ انفصال بعض ولاياتها عن مركزها، و في الوقت نفسه ازداد تدخل الدول الأوروبية الكبرى لاسيما **فرنسا** و**انجلترا** في شؤونها الداخلية، مما دفع بالسلطان العثماني بتشديد الرقابة على الولايات العربية،[2] و لهذا فقد تفطن بعض رواد النهضة العربية الإسلامية المعاصرين إلى ضرورة الإصلاح الديني في البلاد العربية قبل اتصال العرب بأوروبا و حضارتها الفكرية و العلمية عبر البعثات العلمية.

و من ثم فخلال القرنين 18 و 19 بدأ عدد من مفكري النهضة العربية و روادها يدركون أن الأمر لن يعود إلى ما كانت عليه البلاد العربية الإسلامية قبل تدهورها، إلا إذا كان رد الاعتبار للإسلام دينا عقيدة و تنقيته من الشوائب، و العودة إلى القرآن الكريم و السنة النبوية كأساس لوحدة المسلمين، و كذلك ضرورة فتح باب الجهاد ضد الاستعمار و الحركات التبشيرية المسيحية، و أيضا ضرورة فتح باب الاجتهاد لشرح تعاليم الإسلام و أمور العقيدة الصحيحة للمسلمين، فكان من أشهر رواد حركة الإصلاح الديني الإسلامي في فكر النهضة العربية المعاصرة الإمام محمد بن عبد الوهاب في شبه الجزيرة العربية و محمد عبده و جمال الدين الأفغاني في مصر و الشيخ عبد الرحمان الكواكبي و طاهر

---

[1]- محمد كامل ضاهر، **الصرع بين التيارين الديني و العلماني (في الفكر العربي الحديث و المعاصر)**، دار البيروني للطباعة و النشر – بيروت، ط1، 1994، ص 111 – 112.

[2]- اضطر السلطان العثماني **عبد الحميد باشا** في بداية حكمه إلى قبول الدستور الذي وضعه **مدحت باشا**، فأصبح لفترة من زمن حكمه حكما دستوريا، لكنه ما لبث أن أصدر قرارا بحل البرلمان و تعليق الدستور، وهذا لهدفين: **- داخليا** : ليلتف حوله المسلمون كرمز روحي للخلافة الإسلامية و له السلطة الكاملة عليهم. **- خارجيا**: لكي يشكل قوة تهديد الدول الاستعمارية الأوروبية لاسيما **فرنسا** و **إنجلترا**، بإثارة الشعوب الإسلامية الواقعة تحت سلطتها إذا ما استمرت الدول الأوروبية المستعمرة معاداتها السياسية للدولة العثمانية، و لهذا فإن خوف العرب و المسلمين من خطر الاستعمار الأوروبي جعلهم يلتفون حول سلطة **عبد الحميد باشا** و يؤيدونه، لكنهم لم يقبلوا سياسته الاستبدادية.

الجزائري في سوريا و الدعوة السنوسية في شمال إفريقيا، و الدعوة المهدية في السودان، و حركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الجزائر غيرها من الحركات في الوطن العربي، و قد أثيرت خلالها مسائل عدة لاسيما مسألة الخلافة و فكرة الجامعة الإسلامية، و الجامعة العثمانية، و القومية العربية و الإسلامية، و تبلورت مفاهيم سياسية و اجتماعية جديدة في تركيا و البلاد العربية و الإسلامية تحت تأثير الأفكار الغربية، فتشكلت إيديولوجية التيارين السلفي الديني و العلماني مع سيطرة إيديولوجية التيار العلماني، إما بشكل مباشر أو من خلال طرح قضايا سياسية و اجتماعية كالمناداة بالحرية و العدالة و المساواة (و يمثل ذلك شعار الثورة الفرنسية) و الديمقراطية و القومية و الاشتراكية و تعليم المرأة و فصل الدين عن الدولة غيرها من القضايا، و قد أدى ذلك إلى ظهور أحزاب سياسية و جمعيات و الصحف و المجلات تعبر عن هذه الاتجاهات و كان من رواد هذا التيار العلماني شبلي الشميل و فرح أنطوان و سلامة موسى و قاسم أمين و علي عبد الرازق و نقولا حداد و عبد العزيز جاويش و أحمد فتحي زغلول و أحمد لطفي السيد و غيرهم كثيرون ممن عبروا عن كبر حجم الحركة الفكرية التي ميزت هذه الحقبة من تاريخ البلاد العربية و الإسلامية. لكن على الرغم من تباين ردود أفعال كل فريق إلا أن الغاية كانت واحدة مع الاختلاف في أساليب الدعوة القومية، و هي الرغبة في التغيير التي أصبحت ضرورة لابد منها كون الاستمرار على الأوضاع التقليدية السابقة على الاتصال بالحضارة الغربية الحديثة يعني البقاء في دائرة التخلف و الجمود و عدم القدرة على مواجهة الغزو الحضاري العربي مما يعني الخضوع له، و التغيير هنا لابد أن يتجاوز الجانب العسكري و الاقتصادي إلى التنظيم الاجتماعي و السياسي و المفاهيم الدينية التي يجب أن تقود إلى تسيير مبادئ الشريعة الإسلامية بما يتناسب مع مقتضيات العصر أي الاجتهاد و التجديد[1].

2- الفكر العلماني و الفكر الإصلاحي الديني و كيفية نشوئهما

أ- معنى العلمانية و إيديولوجتها

العلمانية في اللغة العربية هي ترجمة للكلمة الإنجليزية " Secularism " أو الكلمة الفرنسية " Sécularité" أو " Laïcité " و مصدرها الكلمة اللاتينية " Secularis " و هي " زمني " أو " قرني " (بالنسبة للقرن)، بمعنى أن العلمانية تهتم بكل ما يتعلق بالزمن أي كل ما يحدث في العلم الأرضي مما هو مادي، و ذلك مقابل ما هو روحي أي كل ما يتعلق بالعالم الأخروي، و في المصطلح الكنيسي فالعلماني لا تعني بالضرورة كل ما هو مادي و اللاديني و إنما كل من لا ينتمي إلى الكنيسة. من جهة أخرى يجب التمييز بين العلماني و العلمنة، فالعلمانية هي نظرية أو حركة نشأت و تطورت في السياق

[1]- محمد كامل ضاهر، **الصرع بين التيارين الديني و العلماني (في الفكر العربي الحديث و المعاصر)**، ص 112 – 113.

التاريخي للصراع بين الكنيسة و الدولة القومية في أوروبا ، و ذلك من أجل الفصل بين الدين و الدولة و حياة المجتمع من جهة، و بين مفاهيم الكنيسة و المفاهيم العلمية الحديثة عن الكون و الحياة و المجتمع من جهة أخرى. أما العلمنة فهي التطبيق الإجرائي لتلك النظرية في الواقع السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي و الثقافي و الميل المتزايد للبشرية نحو التصرف بمعزل عن الدين، فالعلمنة تنفي أي دور للإلاهي أو الدين في تنظيم شؤون المجتمع في السياسة و الإدارة و الاقتصاد و التعليم، بل جعل هذا التنظيم في كل جوانبه بين أيدي البشر حيت تتصارع المصالح البشرية دون المساس بالدين و العقيدة، و من ثم يبقى الدين محتفظا بقداسته و بدوره في تنظيم الحياة الروحية و الأخلاقية للإنسان. إذن فالعلمنة بمعناها الشامل فلفة تنطوي على محاولة إدراك معنى العالم الممادي بوصفه معقولا، و إمكانية إدراكه بالتالي تغييره دون حاجة للقوى الإلهية السماوية، و من ثم فهي تعني استقلالية العقل و بقدراته على اكتشاف حقائق العالم دون تدخل الدين[1].

لكن من جهة أخرى لا يجب أن نفهم بأن العلمانية هي نفي للدين أو الإلحاد و إنما يعني فقط إبعاد الدين عن تنظيم الحياة الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و التعليم ، و لكن من الأهمية أي يحتفظ الدين بدوره الأخلاقي و الروحي، لذلك نجد كثير من العلمانيين متدينون، و كثير من المتدينين علمانيين.[2]

كما تختلف العلمانية عن مصطلح العلموية في بعض وجوهها و أهدافها، فالعلموية (Scientisme) هي في أساسها نظرية فكرية نشأت مع " سان سيمون " الذي حاول من خلالها صياغة أساس إيديولوجي لسلطة العلماء و الصناعيين و المهندسين، الذين جعلوا من فكرة التقدم و العقل التكنولوجي ديانة جديدة لها قداستها، ثم من بعده جاء " أوغست كونت " في نهاية القرن 19 ليجعل منها تيارا فلسفيا مفاده أن العلم وحده هو الذي يقودنا إلى المعرفة الكاملة لحقائق الأشياء و العلم، و هو بذلك كفيل بأن يشبع الإنسان طموحة في تحقيق حياة أفضل في علمه المادي الواقعي، و لهذا تكون العلموية نتيجة من نتائج العلمانية و إحدى أدواتها لتطوير المجتمعات البشرة.[3]

يرى العلمانيون أن العلمانية بفصلها الدين عن العقل لم يكن حدثا عارضا أو عشوائيا في تاريخ الإنسانية، بل تحولا حاسما و جوهريا في المسيرة التطورية للإنسان بما أدت إليه من تطورات حضارية حديثة في مجالات العلوم و المؤسسات و النظم و شملت بتأثيراتها العميقة جميع الأجناس البشرية و مجتمعاتهم باختلاف ألوانهم و أعراقهم و دياناتهم و مناطقهم الجغرافية، و بالتالي لم تعد العلمانية

---

[1]- محمد كامل ضاهر، **الصرع بين التيارين الديني و العلماني (في الفكر العربي الحديث و المعاصر)**، ص 113 – 114.

[2]- المرجع نفسه، ص 115.

[3]- المرجع نفسه، ص 115 – 116.

مرتبطة بظروف تاريخية معينة تخص أوروبا وحدها بل أصبحت تراثا إنسانيا تستفيد من تجربتها كل المجتمعات التي تتشابه في أوضاعها تلك التي عاشتها أوروبا في العصور الماضية أين سيطر الفكر اللاهوتي و رجال الدين على عقول الناس و تصوراتهم للحقيقة، و في هذا السياق تصبح العلمانية ضرورة حضارية إنسانية بكل قيمها و شرطا من شروط التعامل مع الشعوب و الدول في المجتمعات الحديثة.[1]

ب- التيار الإصلاحي الديني و إيديولوجيته السلفة و الأصولية

السلفية الإسلامية تيار فكري يقوم على العودة إلى الماضي و الاستعانة به لبناء الحاضر و المستقبل، يتفق الجميع على أنها ليست مذهبا فلسفيا أو كلاميا، بل هي نزعة فكرية محافظة ترا العقيدة في بساطتها الأولى و تتلمسها في منابعها الرئيسية في القرآن و السنة و صحابة الرسول ﷺ الذين تشبعوا بأخلاقه و آمنوا بظاهر القرآن و قدمه مستعينين في ذلك بالسنة النبوية الشريفة دون اللجوء إلى النظر العقلي.

تشكل التيار السلفي في الإسلام من مدرسة الحديث التي حافظت على الخط الصحابي في فهم العقيدة، و كان الإمام " أحمد ابن حنبل " من الرواد الأوائل الذي عرف بتمسكه الشديد بالكتاب و السنة و تجنب الإجماع و الرأي، و من بعده " ابن تيمية " الذي نسق أفكار السلفيين و ضبط مناهجهم، ثم كانت الدعوة الوهابية التعبير العملي الحديث عن الفكر السلفي الإسلامي.

اعتقد السلفيون أن النكبات التي حلت بالمسلمين من جراء الهجمات الصليبية و المغولية كانت نتيجة لعدم التزامهم بمبادئ العقيدة الإسلامية و انفصالهم عن أصولها، لذلك كرس " ابن تيمية " كل نشاطه الفكري لإحياء كل ما كان عليه الصحابة الذين تلقوا الإسلام صافيا من منابعه الأولى، فقال بأن السلفيين لا يؤمنون بالعقل لأنه يصل، و أن القرآن الكريم وحي إلهي أنزل على النبي محمد ﷺ، و حقائقه مطلقة و يجب ألا يفسر خارج هذا النطاق، و من خلال هذا الاعتقاد هاجموا المنهج العقلي في شرح العقيدة و قالوا بأنه مستحدث في الإسلام و لم يمارسه الصحابة و التابعين، أيضا يضيفون أن مصدر كافة الحقائق الدينية أي كل ما يتعلق بالعلوم النظرية و الأحكام الشرعية في تنظيم الجوانب العملية للمجتمع هما: القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة، فما يقرره القرآن الكريم و تشرحه السنة النبوية هي الحقيقة و لا يمكن ردها. و قد شهدت هذه السنة لرواتها من الصحابة و التابعين أي الجيل الأول من فقهاء المسلمين و مفكريهم برجاحة العقل و سعة الأفق، مما جعل الحلول التي وضعوها للمجتمع الإسلامي في قضايا الدين و الدنيا جديرة بالثقة المطلقة التي لا يرقى إليها الشك، و كل رأي يخالف ذلك بدعة و ضلالة تستحق الذم و النكران، أما العقل فلا مكانة له في تأويل القرآن الكريم أو تفسيره إلا بالقدر الذي

[1]- فؤاد زكريا، **الصحوة الإسلامية في ميزان العقل**، دار الفكر للدراسات – القاهرة، ط 1989، ص 68 – 72.

يؤدي إليه ظاهر الآيات و ما تضافرت عليه الأخبار، و إذا كان للعقل دور فهو في التصديق أو الرفض و تقريب المعقول، و رفع التناقض بينهما.[1]

و في أواخر القرن 19 و بداية القرن20 ظهر صراع بين الفكر العلماني و الفكر السلفي الجديد قائم على الحوار العقلاني المستنير و الاحترام المتبادل، و لكن مع أواسط القرن 20 أصبح هذا الصراع يتجه إلى التعصب خاصة مع ظهور السلفية الأصولية و هي سلفية حديثة النشأة، و مصطلح الأصولية الدينية (Radicalisme religieux) يشير إلى رد كل الحقائق و الأفكار إلى أصل واحد هو النص المقدس، من ثم فالأصوليون الدينيون (Radicalistes religieux) يرفضون تكييف العقيدة الدينية مع مستجدات الحياة، و يعارضون كل تطور أو تشريع خارج نطاق العقيدة و هي التي تمتلك في رأيهم الحقيقة المطلقة للخلاص الإنساني، و بالتالي يجب فرض هذه العقيدة بالجهاد المقدس، و لهذا تتميز الأصولية بالانغلاق على الذات وب في الرأي لا تتقبل الحوار و ترفض التسامح و الانفتاح، و تتمسك بالتراث في مواجهة الحداثة، و قد حدد " أبي الأعلى المودودي " مبادئ الأصولية في أربعة هي: سلطة قوية في أيدي علماء الشرع، خضوع الشعب لهذه السلطة، نظام فكري أخلاقي تفرضه هذه السلطة، مكافأة أولئك الذين ينفذون أحكامها، و هي بهذه الخصائص تناقض العلمانية في كل طروحاتها جملة و تفصيلا.[2]

ـ الخاتمة

نستخلص من هذا التحليل أن البدايات الأولى للمشروع الفكري النهضوي العربي الإسلامي كانت منذ سقوط الخلافة العباسية و قيام الخلافة العثمانية، و نظرا للتوسع الروماني خلال فترة تشكل امبراطورية الرومان، فقد تأثر كثيرا من المفكرين العرب خاصة في المشرق العربي بالمسيحية، و ما كان يحدث من ثورة فكرية و علمية في البلاد الأوروبية خلال فترة العصور الوسطى و عصر النهضة الأوروبية الحديثة، و هو ما ساعدهم على بلورة المشروع الفكر النهضوي ما كان يحمله هذا المشروع من تيارات فكرية دينية و علمانية.

إعداد:

د / حميد مخوخ

[1]- محمد أبو زهرة، **المذاهب الإسلامية**، المطبعة النموذجية – القاهرة، ص 315 – 316.

[2]- روجي غارودي، **الأصوليات المعاصرة (أسبابها و مظاهرها)**، دار عام ألفين 79.– باريس 1992، ص 13، 79.

جامعة خميس مليانة
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية – قسم العلوم الاجتماعية – شعبة الفلسفة
السداسي الثاني السنة الجامعية 2021 / 2022
المستوى: السنة الأولى ماستر - تخصص: فلسفة عربية إسلامية
المادة: الفكر العلماني في عصر النهضة العربية المعاصرة - اسم الوحدة: استكشافية
أستاذ المادة: د / حميد مخوخ

المحاضرة الثانية

- مصادر الفكر العلماني الحديث في البلاد العربية

إذا كان الفضل في أول محاولة لإنشاء أول دولة علمانية في العالم الإسلامي يعود إلى " محمد علي" فإن مصادر أخرى ساهمت بشكل كبير في بلورة الفكر العلماني في البلاد العربية و الإسلامية، و هو ما جعل العقل العربي و الإسلامي ينفتح على الثقافة العلمية و السياسية الحديثة و شروطها و مناخها، و من بين هذه المصادر ما يلي:

1- الإرساليات التبشيرية

التبشير الديني و سيلة استخدمتها الكنائس المسيحية الغربية لنشر عقائدها المسيحية و مفاهيمها الحضارية في المجتمعات الوثنية و بين أتباع الديانات الأخرى في المناطق المختلفة من العالم، ذلك عن طريق انشاء مؤسسات دينية تعليمية، و تقديم خدمات صحية و اجتماعية و إنسانية، و إنشاء جمعيات علمية و أدبية تستقطب أكبر عدد ممكن من الناس، و قد أصبحت هذه الإرساليات التبشيرية إحدى الوسائل التي اعتمدها الاستعمار الغربي لكي يتغلغل في المناطق التي سيطر عليها، فكان الدول الغربية تبسط حمايتها على أتباعها من المبشرين أينما وجدوا، باعتبارهم رسلا لمصالحها التجارية و الاقتصادية و السياسية، و قد استخدم المبشرون الدينيون شتى الوسائل لتهيئة شخصيات محلية مرتبطة بالفكر الغربي و مفاهيمه، فكان التعليم أهم تلك الوسائل.[1]

يرجع تاريخ وجود هذه الإرساليات التبشيرية الدينية في بلاد الشام إلى القرن 17 حيث اقتصرت جهودها الأولى على رعاية الطوائف المسيحية الموالية لكنيسة روما الكاثوليكية، و رغم الظروف الصعبة التي كانت تعيشها هذه الطوائف كالفقر و الجهل استطاعت هذه الارساليات أن تحقق نجاحا و لو جزئيا، لكن سرعان ما تعطلت جمعيتها في عام 1773 فأغلقت معظم مؤسساتها، دون أن تترك أي أثر في تطور الحياة الاجتماعية و الفكرية في البلاد. لكن مع وصول حركات تبشيرية دينية بروتستانتية

[1]- محمد كامل ضاهر، **الصرع بين التيارين الديني و العلماني (في الفكر العربي الحديث و المعاصر)**، ص119 – 120.

أمريكية إلى بلاد الشام عام 1820 و تحول أتباعها من الطوائف الكاثوليكية إلى المذهب البروتستانتي، جعلت المبشرون المسيحيون يستأنفون نشاطهم عام 1831 مشجعين بسياسة ابراهيم باشا التسامحية، و من هنا أخذ الصراع يشتد بين الإرساليات الكاثوليكية و الإرساليات البروتستانتية خاصة في مجالات التربية و التعليم، فأنشأوا المدارس و أسسوا الجمعيات و المجلات العلمية و الأدبية و دور الطباعة، مما أدى إلى انتعاش اللغة العربية و أذابها و تجديدها مع نشر تراث الفكر العربي، و قد نشأت خلال ذلك حركة فكرية انتقلت من الأدب إلى السياسة، و لهذا فقد استعانت هذه الإرساليات في تحقيق أهدافها بفئة من مثقفي لبنان ممن تلقوا العلم في مدارسها و هم كلهم من المسيحيين أمثال " بطرس البستاني" (1818 – 1893) الذي ألف معجمي " محيط المحيط " و " قطر المحيط " و " دائرة المعارف " و ترجم التوراة إلى اللغة العربية بالتعاون مع القس البروتستانتي " لإيلي سميث " (1801 – 1857)، و أحمد فارس الشدياق (1804 – 1887)، و أديب اسحاق (1865 – 1885)، و ابراهيم اليازيجي (1874 – 1906)، و " فرانسيس مراش " (1836 – 1873)، و " سليمان البستاني " (1856 – 1925). و قد كان للمبشرين المسيحيين البروتستانت الدور الفعال في هذا المجال إذ جعلوا للغة العربية مكانة كبيرة في المجال التعليمي في المدارس و المعاهد التي أنشأوها في بلاد الشام، و زودوها بالكتب المطبوعة بأنماط جديدة من الحروف ألتي أصبحت تعرف بالحروف العربية الأمريكية مما سهل عملية الطباعة و تنشيطها، كما كان تأسيس أول مدرسة للبنات في تلك البلاد من زوجة " إيلي سميث "، لأن التعليم كان مقتصرا على الذكور فقط.[1]

كما انتقل التنافس بين الإرساليات الكاثوليكية و الإرساليات البروتستانتية إلى المستوى الجامعي بعد الحوادث الطائفية في لبنان عام 1860، إذ أسس البروتستانت عام 1866 الكلية السورية الإنجيلية في بيروت التي ضمت كليات الآداب و العلوم و الطب و الصيدلة و التجارة، و كانت اللغة العربية هي لغة التدريس فيها حتى عام 1880 ثم حلت اللغة الإنجليزية مكانها. و في المقابل افتتح المسيحيون الكاثوليك (الجزويت) عام 1875 جامعة القديس يوسف في بيروت ضمت معهد اللاهوت و الفلسفة ثم أنشأوا بعد ذلك كليات الطب و الصيدلة و الحقوق و الهندسة و معهد الدراسات الشرقية، فكانت اللغتين الفرنسية و اللاتينية هما لغتي التدريس في جميع هذه الكليات باستثناء معهد الدراسات الشرقية الذي اعتمد اللغة العربية، و كانت الحكومة الفرنسية تنفق عليها وتشجعها. و قد بقي الطابع العام للجامعة الكاثوليكية

[1]- محمد كامل ضاهر، **الصرع بين التيارين الديني و العلماني (في الفكر العربي الحديث و المعاصر)**، ص 120 – 121.

لاهوتيا بينما غلب الطابع العلمي على الجامعة البروتستانتية، و هو السبب الذي جعلها يكون لها تأثير كبير على انبعاث الفكر العلمي في لبنان و البلاد العربية الأخرى أكثر من الجامعة الكاثوليكية.[1]

ثم شرع الأدباء و الهيئات الدينية المحلية في إنشاء المدارس وطنية على النمط الأوروبي تحت التأثير المباشر لهذه الإرساليات في حقل التربية و التعليم، و من بين هذه المدارس نجد المدرسة الوطنية التي أسسها " بطرس البستاني " عام 1863 و كان " ناصف اليازجي " مدرسا للغة العربية فيها، و المدرسة البطريريكية للروم الكاثوليك عام 1865 ، ثم مدرسة الحكمة الطائفية المارونية التي أنشأها المطران " يوسف الدبس " عام 1865، ثم مدرسة الثلاثة أقمار للروم الأرثودكس عام 1866، ثم مدرسة المقاصد الخيرية الإسلامية عام 1880، و قد تخرج من هذه المدارس كثير من الطلبة الذين أسهموا في نشر الروح الوطنية و العلمية في بلاد الشام، و على الرغم من الطابع الديني لهذه المدارس إلا أن نظام التدريس فيها كان عقلانيا مما مهد الطريق نحو نوع جديد من الإدراك العلمي و خلق ظروف خففت من قبضت نمط التفكير الديني التقليدي.[2]

وقد ركزت المدارس المسيحية التي تديرها الإرساليات التبشيرية المسيحية على اللغات الأوروبية لاسيما الفرنسية و الإنجليزية، مما أكسب الطلاب أداة فكرية أخرى فتحت معرفة هذه اللغات أمامهم آفاقا جديدة وضعتهم في اتصال مباشر مع الفكر الأوروبي و علومه و جعلهم ذلك يقومون بدور الوساطة بين المجتمع العربي و الإسلامي و الحضارة الأوروبية الحديثة، في المجالات الثقافية و السياسية و الاقتصادية، فأحدث ذلك تغييرا جذريا في مركزهم الاجتماعي و اتجاهاتهم الفكرية التي غلب عليها الطابع العلماني منذ أواخر القرن19، و أثر ذلك أيضا على التيار التوفيقي بقيادة جمال الدين الأفغاني و محمد عبده في مصر.[3]

ـ البعثات العلمية و نشاط حركة الترجمة: كانت الحملة الفرنسية على مصر و سوريا عاملا حاسما في اليقظة العربية المعاصرة، و بداية الاتصال بين العرب و البلدان الغربية، و كان ذلك خاصة عبر البعثات العلمية التي أرسلها محمد علي إلى فرنسا في إطار برنامج الإصلاحات التي قام بها في مصر في عهد حكمه، و هكذا فقد عاد هؤلاء الطلبة من أوروبا، فاشتغلوا بالتدريس، و قد أنشأ محمد علي عددا من المدارس المدنية التي أخذت تزداد و تتنوع في تخصصاتها، فأخذ النشاط التعليمي في البلاد العربية و خاصة مصر، الطابع الأوروبي، ثم أنشئت الجامعة الأهلية المصرية عام 1908، كما امتدت حركة

---

[1]- محمد كامل ضاهر، **الصرع بين التيارين الديني و العلماني (في الفكر العربي الحديث و المعاصر)**، ص 121.

[2]- المرجع نفسه، ص 122.

[3]- هشام شرابي، **المثقفون العرب و الغرب**، دار النهار للنشر – بيروت 1971، ص 66.

التعليم و مؤسساتها من لبنان و مصر إلى تونس و ليبيا و الجزائر و المغرب، و لكن ظل التأثير الثقافي الكبير محصورا في سوريا و مصر.

و من جهة أخرى كانت حركة الترجمة جزء من حركة التعليم، و قد لعبت دورا كبيرا و عظيما في قيام الفكر العلماني في البلاد العربية، حيث أدت دورها في نقل العلوم و الثقافة الأوروبية إلى اللغة العربية، و هو العمل الجبار الذي قام به الطلبة الذين أرسلهم **محمد علي** إلى فرنسا، من بينهم **رفاعة الطهطاوي** الذي أسس مدرسة الألسن عام 1836 لتخريج المترجمين، كما كان إنشاء مدارس للعلوم و الزراعة و الفنون و الصنائع و غيرها من المعارف.

كما كان لتنشيط الطباعة و الصحافة و ظهور المطابع في البلاد العربية و الإسلامية بصفة عامة و في مصر و بلاد الشام بصفة خاصة مساهمة فعالة في نشر تيار الفكر العلماني، و ذلك من خلال احياء التراث العربي و الإسلامي و إيصال المؤلفات الحديثة و بعض الترجمات لكبار المفكرين و الفلاسفة الأوروبيين إلى أيدي الطلاب العرب، مما سمح لهم بالاطلاع على أفكارهم التي ساعدت على قيام الحضارة الأوروبية الحديثة و نهضتها العلمية، أفكار الثورة الفرنسية و شعارها (الحرية، العدالة، المساواة)، و من ثم أنشئت أول مطبعة في " دير مار قزحيا " في لبنان عام 1601، ثم مطبعة " دير مار يوحنا بالشوير " عام 1733 و في عام 1751 تأسست مطبعة القديس " جاورجيوس " للروم الأرثودوكس، و في عام 1834 نقلت مطبعة المرسلين الأميركان من مالطة إلى بيروت، ثم تأسست المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين عام 1848، ثم أنشأ " خليل الخوري " المطبعة السورية عام 1857، و بعدها تأسست مطبعة المعارف لبطرس البستاني، و في عام 1874 أنشأ " خليل سركيس " المطبعة الأدبية. كما عرفت مصر أول مطبعة عربية في عهد **نابليون**، و كانت تسمى " المطبعة الأهلية"، و بعد خروج الفرنسيين من مصر عام 1801 بقيت مصر بدون مطبعة حتى أنشأها **محمد علي** عام 1821 المطبعة الأهلية في بولاق، ثم أنشأ الأقباط المطبعة الأهلية القبطية عام 1860، و بعدها أنشأ " عبد الله أبو السعود " مطبعة واد النيل [1]

و في لبنان أنشئت المطبعة الأمريكية في بيروت عام 1834 و كذلك المطبعة اليسوعية في عام 1848، و قد كان لهذه المطابع دور فعال في نشر العلوم و الثقافة الأوروبية المترجمة إلى اللغة العربية، و كذلك مؤلفات المفكرين العرب، و لهذا اختصت مطبعة بولاق بطبع و نشر روائع التراث العربي الإسلامي، فقللت التكلفة الباهظة للكتب و جعلها في متناول اليد العربية و بأسعار زهيدة، و كان من أثار

[1]-جورجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية ، ج4 (بناء النهضة العربية)**، دار الهلال، ص 55 – 56.

تأسيس الطباعة انتشار الفكر العلماني و مبادئه في البلاد العربية، و كذلك ظهور الصحف و المجلات العلمية و السياسية و الثقافية و انتشارها.[1]

ـ الصحف و المجلات العلمية

عرفت مصر إبان الحملة الفرنسية بعد ظهور الطباعة صدور مجموعة من الصحف إذ صدرت صحيفتان باللغة الفرنسية لنشر أبحاث المجمع العلمي المصري و أخبار الحملة، و صحيفة باللغة العربية هي صحيفة " التنبيه " لنشر بيانات الحملة و القوانين و اللوائح التي كانت تصدرها الحملة، ثم أصدر **محمد علي** صحيفة " جرنال الخديوي " عام 1827 بالغتين العربية و التركية تهتم بنشر أخبار سير المشاريع التنموية و العمران و شؤون الدولة في مصر، لذلك كانت توزع فقط على كبار رجال الدولة، و في عام 1828 أصدر صحيفة **الوقائع المصرية** تهتم بنشر قوانين الدولة و أخبارها باللغتين العربية و التركية أيضا، و توزع على موظفي الدولة و الطلاب، و عندما تولى " رفاعة الطهطاوي " رئاسة تحريرها جعل اللغة العربية لغتها الأساسية، و حول افتتاحيتها إلى مقالات في التربية الوطنية و السياسة الاجتماعية، فكان ذلك بداية صحافة الرأي التي كان لها أثر بالغ في نشر الوعي السياسي في مجتمعها.[2] و بعدها أصدر محمد على " الجريدة العسكرية في عام 1833 لنشر أخبار الجيش، كما أصدرت في العام نفسه في الاسكندرية بتشجيع من محمد علي جريدة ثقافية فرنسية أسبوعية هي جريدة " لو مونيتور ايجيبسيان " و في عهد خليفتي محمد علي و هما عباس باشا و سعيد باشا لم يكن للصحافة أي دور باستثناء جريدة " السلطنة " التي أصدرها " اسكندر شلهوب " في القاهرة بتمويل من السلطان التركي لنقد أخطاء الخديوي سعيد فكانت من أوائل صحافة الرأي.[3]

و لما تولى " الخديوي اسماعيل باشا " حفيد "محمد على باشا " الحكم ما بين 1863 و 1879 أعاد للصحافة دورها الريادي حتى بلغ ما أصدر من الصحف أربعين جريدة بمختلف اللغات، و كان القسم الأكبر من هذا العدد مملوكا من طرف الأفراد، و هي كلها تعبر عن مختلف المصالح و الاتجاهات الفكرية، و بعدها بدأت الصحف السياسية بالظهور بعدما اشتد النزاع بين " الخديوي اسماعيل باشا " و الدول الأجنبية حول السيادة على مصر، فكانت صحيفة " وادي النيل " 1866 "لعبد الله السعود " من أقدمها، ثم تلتها صحيفة " نزهة الأفكار" 1869 " لإبراهيم المويلحي " و " محمد عثمان جلال "، و جريدة " الأهرام " 1875 " لسليم ثقلا " و " بشارة ثقلا "، ثم جريدة " الوطن " القبطية 1877 ل

---

[1]- محمد كامل ضاهر، **الصرع بين التيارين الديني و العلماني (في الفكر العربي الحديث و المعاصر)**، ص 126.

[2]- لويس عوض، **تاريخ الفكر المصري الحديث (من عصر اسماعيل إلى ثورة 1919)، ج2**، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة، 1980، ص 219 – 220.

[3]- المرجع نفسه، ص 220 -222 .

"ميخائيل عبد السيد، و عندما لجأ " جمال الدين الأفغاني إلى مصر عام 1871 كان يحمل بذور ثورة ضد الأوضاع الاستعمارية التي كان يعيشها العالم الإسلامي فأوصى إلى " يعقوب صنوع " و هو يهودي اعتنق الإسلام بإصدار جريدة " أبو نضارة زرقاء " عام 1877، و إلى " سليم نقاش " و " أديب اسحق " بإصدار صحيفة " مصر " و صحيفة " التجارة " عام 1879، كما ساعد " سليم عنجور " على إصدار جريدة " مرآة الشرق " عام 1879، و أمد هذه الصحف بالمال و استكتب فيها مفكري مصر مثل الشيخ " محمد عبده " و " إبراهيم اللقاني" و " عبد الله النديم "، و كان الأفغاني نفسه يكتب في هذه الصحف باسم مستعار هو " المظهر بن وضاح ".[1] و من ازدهار الصحافة في عهد " الخديوي اسماعيل " هجرة عدد من المثقفين و الكتاب المسيحيين إلى مصر بسبب المذابح التي حدثت في لبنان و سوريا عام 1860 فكانوا يكنون حقدا مريرا للسلطان العثماني بسبب ما عانوه من استبداد حكمه، و لهذا دعوا في صحفهم إلى إحلال فكرة الوطن محل فكرة الخلافة و الدعوة إلى التحرر من الخليفة و التطلع إلأى الحرية و المساواة و العدالة، و لهذا فقد لعبت هذه الصحف دورا عظيما في تشكيل الوعي العربي الاجتماعي و القومي،، و عرفت المصريين بظروف الاستبداد السياسي و الاجتماعي و النظم السياسية الليبرالية و أفكار النزعة الدستورية، و التحرر القومي بدلا من الاتجاهات الدينية، كما عرفت القرات العرب بتطورات العلم الحديث و ضرورة نشر التعليم العلماني و حرية الفكر و مبادئ الحرية و العدالة و المساواة و تحرير المرأة.[2]

و في سوريا ولبنان أصدرت مجموعة من المفكرين اللبنانيين الأوائل صحفا بعد أحداث 1860 الدينية تدعو إلى التوفيق بين مختلف العقائد و إلى الاتحاد و التعاون من أجل الحرية و العدالة و المساواة، و نجد من هؤلاء المفكرين " بطرس البستاني " الذي أصدر جريدة " نفير سوريا " عام 1860 دعا فيها إلى كلب المعرفة لاستنارة العقل المؤدية إلى القضاء على التعصب و إحلال التسامح بين الإسلام و المسيحية، كما دعا أيضا إلى القومية و فصل الكنيسة عن الدولة.[3] و في عام 1870 أنشأ صحيفة " الجنان " الأدبية و السياسية كان الهدف منها محاربة التعصب الديني و الدعوة إلى التفاهم و الاتحاد الوطني، فكان شعارها " حب الوطن من الإيمان "، و في " الإستانة " أصدر " أحمد فارس الشدياق " جريدة " الجوانب " عام 1860 بدعم من السلطان العثماني، و كانت تشرح أحداث السياسة العالمية، و تنشر ترجمات لوثائق ديبلوماسية مهمة، و تعالج المشاكل الاجتماعية بفكر علمي منفتح

---

[1]- لويس عوض، **تاريخ الفكر المصري الحديث (من عصر اسماعيل إلى ثورة 1919)، ج2**، ص224 – 225، 227.

[2]- ز.ل ليفين، **الفكر الاجتما.عي و السياسي الحديث في لبنان و سوريا و مصر**، ترجمة: بشير السباعي، دار ابن خلدون – بيروت، 1978، ص 71، 82.

[3]- المرجع نفسه، ص 7.

و تقابل بين الحياة الأوروبية و الحياة في بلاد الشرق مفضلة الحياة الأوروبية كونها منظمة و الأوروبيين مجتهدين و منتجين متحدين اجتماعيا متجاوزين الفوارق العقائدية، و لا يوجد تدخل للدين في السياسة، و أنهم يشاركون المرأة في الحياة الاجتماعية، و يهتمون كثيرا بتربية أولادهم تربية حسنة بخلاف مجتمعات الشرق.[1] كما أصدرت في لبنان صحيفة **الأخبار** و في العراق أنشأ " مدحت باشا" والي بغداد أول صحيفة في البلاد و هي صحيفة " الزوراء " و تولى " محمود شكري الألوسي " تحرير القسم العبي فيها، و في تونس أصدر " حسين المقدم "صحيفة " نتائج الأخبار " التي كانت عجلة الصحف السياسية في المغرب العربي، ثم بعد ذلك صدرت صحيفة "الرائد التونسي " الرسمية، و في عام 1888 صدرت صحيفة " الحاضرة " التي تشكلت حولها حلقة من المتنورين التونسيين من دعاة الحرية و الإصلاح، ثم ظهرت صحيفة " الزهراء " ل " عبد الرحمان الصنادلي " الذي كان راديكاليا روج الثقافة العلمانية و الرقي التقني، و في الفترة الممتدة بين 1888 و 1909 صدرت حوالي 45 مجلة و صحيفة نتيجة للنشاط التنويري الكبير، و في الجزائر أصدر المستعمرون الفرنسيون أول صحيفة عربية هي " المبشر " عام 1947،[2] كما اهتم بعض الأغنياء من النصارى بالصحف التي اهتمت بالإسلام مثل "**نور الإسلام** " و "**المنار**" و "**الهدى النبوي**" و مجلة "**الأزهر**".

كما لعبت الصحف دورا في مساعدة الأحزاب السياسية على نشر أفكارها و برامجها وإيصالها إلى الناس، حيث أصبح لكل حزب منبر صحفي يعنى بالسياسة، و تقديم المعارف في المجالات الأدبية و العلمية و الاقتصادية و الاجتماعية، و من ثم كانت تلك الصحف المنبر الحقيقي لبعث الحركة الفكرية الأدبية النهضوية العلمانية، التي كان من روادها طه حسين، و العقاد و المازني و أحمد شوقي و حافظ إبراهيم و خليل مطران و غيرهم كثيرون.

ـ حركة إحياء التراث العربي الإسلامي: تكونت جمعيات أهلية نهابة القرن 19 و بداية القرن 20 و كانت مهمتها إحياء التراث العربي الإسلامي و نشره، فأشرفت مجموعة من علماء الأزهر على مطبعة **بولاق** فاختاروا طائفة من مخطوطات التراث و عملوا على نشرها، فظهر **لسان العرب لابن منظور**، و كتاب **الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني**، و **ديوان الحماسة**، و لما تأسست لجنة التأليف و النشر و الترجمة بالقاهرة ساهمت في حركة إحياء التراث و نشره.

ـ المجامع العلمية و اللغوية: كان إنشاء هذه المجامع دورا عظيما في مد الجسور العلمية و الثقافية بين الحضارة العربية الإسلامية و الحضارة الغربية الأوروبية، فكانت " جمعية الآداب و العلوم " التي

---

[1]- ألبرت الحوراني، **الفكر العربي في عصر النهضة**، ترجمة: كريم عزقول، دار النهار النشر – بيروت، 1968، ص 126.
[2]- محمد كامل ضاهر، **الصرع بين التيارين الديني و العلماني (في الفكر العربي الحديث و المعاصر)**، ص 131.

أنشئت في بيروت عام1847 من طرف " ناصيف اليازجي " و " بطرس البستاني " من أوائل هذه الجمعيات خلال السنوات الأولى من عملهما مع البعثة التبشيرية الأمريكية، و كان هدفهما رفع المستوى المعرفي عن طريق الاتصال بالثقافة الغربية و، و مسايرة التعليم في المدارس و العناية بالعلوم، فظهرت في نشاطاتها العلمية بواكير الوعي القومي العربي من خلال محاولة احياء التراث العربي و أمجاده و مآثر تاريخ العرب و بيان عظمة اللغة العربية، مما لفت الانتباه إلى الإيمان بقدرة العقل العربي على نشر الثقافة العلمية و مناقشة موضوع تعليم المرأة، ثم أعقبت هذه الجمعية جمعيات أخرى كان لها دور فعال في نشر الوعي القومي العربي، من بينها " الجمعية الشرقية " التي أسسها اليسوعيون في بيروت عام 1850، ثم ظهرت " الجمعية العلمية السورية " التي أنشئت عام 1857 من طرف المتنورين السوريين مسيحيين و مسلمين، من بينهم " ألأمير محمد أمين أرسلان " و " حسين بيهم " و " سليم البستاني " و " سليم كساب " و "فارس نمر"، كان شعارهم " رقي الوطن من خلال نشر المعارف ".[1]

و في تونس خلال السنوات الأخيرة من القرن19 و أوائل القرن 20 تأسست جمعيات ثقافية تنويرية تدعو إلأى نشر الثقافة العلمية الحديثة من بينها " الجمعية الخلدونية " عام 1896 و "جمعية خريجي الصادقية " عام 1905 لنشر الفكر الأوروبي و ثقافته. و في مصر كان المجمع علمي الذي أنشأه **نابليون** أثناء حملته على مصر أولى الجمعيات العلمية، و جعل فيه فروعا للرياضيات و الفيزياء و الأدب و الفنون، كما جعل أهم أهدافه نشر علوم أوروبا و فنونها في مصر، كما صدرت عنه موسوعة " وصف مصر " التي تحوي أدق المعلومات الجغرافية و الطبيعية و الاقتصادية و الاجتماعية و البشرية عن مصر، و في عام 1859 تأسس المعهد المصري، ثم تأسست جمعية المعارف التي عنيت بإحياء كتب التراث الإسلامي، و كانت غايتها إنشاء مكتبة ضخمة، و حين جمد نشاطها أنشأت مجموعة من علماء الإسكندرية مجلس المعارف المصري بالإسكندرية عام 1859، و في عام 1870 أنشئت " دار الكتب المصرية "[2]، و بعد ذلك تتابع تأسيس هذه المجامع عدد من الجمعيات و كان أشهرها جمعية مصر الفتاة، و في بيروت جمعية المقاصد الإسلامية عام 1880، و كان هدف هذه الجمعيات توحيد جهود العلماء و المفكرين و تنظيمها، و أيضا جعلهم يتعاونون في مجال التخصص الواحد و يتبادلون الآراء، و كان من ثمار هذه الجمعيات ظهور جماعات أدبية و فكرية جديدة من أشهرها جماعة أبولو 1936.

---

[1]- ز.ل ليفين، **الفكر الاجتما.عي و السياسي الحديث في لبنان و سوريا و مصر**، ص 92.
[2]- المرجع نفسه، ص 85 – 86.

ـ حركة الاستشراق:

الاستشراق بمعناه الأكاديمي هو أحد ميادين الدراسات الغربية عن المجتمعات الشرقية، و تاريخيا فهو مرتبط بصدور مجمع فيينا الكنيسي عام 1312 بتأسيس عدد من كراسي الأستاذية في اللغات العربية و اليونانية و العبرية و السريانية، في جامعات باريس و أكسفورد و بولونيا[1]، و قد تزيد اهتمام أوروبا بالأقطار الشرقية و مجتمعاتها بعد الحروب الصليبية الأولى، ثم أخذ هذا الاهتمام يتزايد مع تنامي قوة أوروبا التجارية و العلمية و الصناعية و العسكرية، حيث بلغت الذروة في القرن 19 بعد التحولات العميقة التي أحدثتها النهضة الفكرية و الصناعية و الثورية في تكوينها الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي منذ أواخر القرن 18، و منذ ذلك الوقت أخذت المصالح الاستعمارية للدول الأوروبية خاصة فرنسا و انجلترا تسيطر على علاقاتها بدول الشرق بعد أن كانت هذه العلاقات مقتصرة على التجارة و على إضعاف الإسلام و تخريبه. ومن ث مفقد كانت دراسات المستشرقين تقدم معلومات للدول الاستعمارية و أحوال مجتمعات الشرق، مما سهل عليها اختراق مجتمعاتها و اعادة صياغتها ثقافيا و سياسيا و اجتماعيا و عسكريا تحت تأثير الثقافة الغربية و اتجاهاتها[2]

و قد حظي الإسلام و التراث العرب الإسلامي باهتمام خاص من قبل المستشرقين، و شغلت مصر جانبا كبيرا من هذا الاهتمام إذ توافد عليها كثير من المستشرقين منذ حملة نابليون على مصر و في فترة حكم محمد على، فقاموا بدراسات معمقة على مجمل أحوالها، و تولت الكنيسة الكاثوليكية الأمر بعناية بنشر المؤلفات العربية في الفلسفة و الطب و الفلك و الرياضيات، و ترجمت بعضها إلى اللاتينية، كما أنشأ الرهبان المسيحيون الكاثوليك في النصف الثاني من القرن 16 مدرسة في روما لتعليم اللغة العربة و 'دابها،ُم أخذت الإرساليات التبشيرية المسيحية في البلاد العربية بنقل المؤلفات العربية إلى أوروبا، فامتلأت مكتباتها في باريس و لندن و أكسفورد و برلين و روما وفيينا، ثم انتقل هذا الاهتمام بالآثار الفكرية من الكنيسة إلى الدول الأوروبية، و كانت فرانسا من السابقين إلى الاهتمام بهذا الموضوع حيث أنشأت مدرسة لتعليم اللغات الحية في باريس عام 1795، ثم حذثت معظم الدور الأوروبية نفس الحدو فظهر عدد من المستشرقين الذين تعلموا اللغة العربية في المعاهد و المدارس الغربية، و زار معظمهم البلاد العربية و الإسلامية و جمعوا العديد ون المخطوطات في مختلف فروع المعرفة و حملوها إلى أوروبا فحققوها و نشروها.

---

[1]- إدوارد سعيد، **الاستشراق**، ترجمة: كما أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية – بيروت، ط 2، 1984، ص 80.

[2]- المرجع نفسه، ص 39.

كانت حركة الاستشراق في بداية أمرها حركة تعمل على تمكين المستعمر من تدبير شؤونه في البلاد العربية المستعمرة، و ذلك عن طريق اتصاله بأدبها و لغتها و نفسية أهلها، إلا أن هذه الحركة انتهت فيما بعد بإنشاء جمعيات علمية يسيرها متخصصون في مجال التاريخ و الاقتصاد و اللغات و الأدب، مثل الجمعية الأسيوية عام 1821 و الجمعية الملكية الأسيوية بلندن عام 1823 و نظيرتها الجمعية الفرنسية عام 1820 و الجمعية الألمانية للدراسات الأجنبية عام 1845 و الجمعية الاستشراقية الأمريكية و غيره من الجمعيات، كما أصدرت هذه الجمعيات عدد من المجلات العلمية التي تناولت التراث العربي الإسلامي بالدراسة و التحليل العلمي، مما ساهم في نشر المنهج العلمي في البحث و هو ما نشط التيار العلماني في المجتمع العربي و الإسلامي حيث ظهر عديد من المفكرين المصريين المسلمين مع بداية القرن 20 مثل " لطفي السيد و " طه حسين " و " علي عبد الرازق " و قاسم أمين " و غيرهم كثيرون.[1]

ـ ازدهار النثر العربي الحديث: كان من عوامل و مظاهر النهضة العربية الحديثة بروز لون جديد من الكتابة المرسلة المتحررة من أسار السجع و الجناس، و هو العمل الذي قامت به حركة انبعاث النثر العربي الحديث مع نهاية القرن 18 و بداية القرن 19، و قد أثر ذلك تأثيرا شديدا عل ازدهار الشعر و خاصة النثر العربي الحديث، و كان من أبرز رواد هذا اللون الجديد من النثر المؤرخ **عبد الرحمان الجبرتي**، و كان له تأثيرا قويا في الجيل من الكتاب الذين أتوا بعده من بينهم **نصيف اليازجي** و **أحمد فارس الشدياق**، و قد تخلص أبناء هذا الجيل من كل قيود البديع إلى التعبير المرسل، فنهض النثر العربي الحديث بعد ذلك نهضة واسعة فسادت بين الخطباء و الكتاب أساليب من الفصاحة و البلاغة و البيان تبتعد عن التكليف و الصنعة اللغوية، و قد تأثر بذلك كل من **محمد عبد الوهاب** و **الشيخ محمد عبده** و **مصطفى كامل و شكيب أرسلان**، ثم أعقب هذا الجيل جيل أخر من الكتاب أبرزهم **محمد حسين هيكل** و **محمود عباس العقاد** و **طه حسين** و آخرون.

ـ إنشاء المكتبات و الجامعات و المسارح: لم تكن البلاد العربية تحوي من المكتبات سوى ما كانت تحويه المساجد الكبرى، و كان من عوامل النهضة العربية الحديثة إعادة فتح و تنظيم المكتبات السابقة، كالمكتبة الظاهرية *بدمشق* التي أعيد فتحها و تنظيمها عام 1880 و أصبحت **دار الكتب الوطنية**، كما تأسست **المكتبة الشرقية ببيروت** في العام نفسه، ثم أعقب ذلك تأسيس عدد من المكتبات الأصغر حجما في سائر المدن العربية الكبرى، و قد رافق ذلك ظهور العديد من المدارس و الجامعات في سوريا الشمالية **كالجامعة السورية** في **دمشق** التي أصبحت فيما بعد **جامعة دمشق**، و الجامعة الأمريكية

[1]ـ محمد كامل ضاهر، **الصرع بين التيارين الديني و العلماني (في الفكر العربي الحديث و المعاصر)**، ص 124 – 125.

و **جامعة القديس يوسف في بيروت** و **جامعة الحكمة** في **العراق**، كما نشأ في الفترة **ذاتها المسرح العربي** على يد **أبو الخليل القباني**.

ـ دور المسيحيين العرب في بلورة فكر النهضة العربية المعاصرة: يكاد يكون إجماع كامل بين المؤرخين لفكر النهضة العربية المعاصرة، أن العرب المسيحيين كان لهم الدور الفعال و بشكل واسع في بلورة فكر النهضة العربية الحديثة، سواء في جبل لبنان أو في سوريا أو في مصر أو فلسطين، و ذلك ليس من خلال المشاركة الفعالة لهم في داخل الوطن فقط بل من خلال بلاد المهجر أيضا، فقد كان العرب المسيحيون يمثلون النخبة المثقفة و الطبقة البورجوازية في البلاد العربية، مما جعل مساهمتهم لم تقتصر على ازدهار النهضة الاقتصادية فقط بل كانت لهم أيضا مساهمة فعالة في النهضة الثقافية و الفكرية بصفة عامة، و كذلك في الثورة على الاستعمار من خلال أعمالهم و مؤلفاتهم، نذكر على سبيل المثال في **الصحافة** نجد **سليم العنجوي** من خلال تأسيسه **لصحيفة مرآة الشرق** عام 1879، و **أمين السعيل** من خلال تأسيسه **مجلة الحقوق**، و **جرجس ميخائيل فارس** من خلال تأسيسه **الجريدة المصرية** عام 1888، و **إسكندر شلهوب** من خلال تأسيسه **مجلة السلطة** عام 1897، و **سليم ثقلا** و شقيقه **بشارة ثقلا** من خلال تأسيسهما **جريدة الأهرام**، و **رزق الله حسون** من خلال تأسيسه **جريدة مرآة الأحوال**، و **عبد المسيح حداد** من خلال تأسيسه **جريدة السائح** و **الرابطة القلمية**.

و في فقه اللغة العربية نذكر **إبراهيم اليازجي وناصف اليازجي**، و **بطرس البستاني** و **قسطاكي الحمص** و **أديب أسحق** و **خليل ألسكاكيني**، و في الوقت ذاته دخلت إلى **حلب (سوريا)**المطبعة الأولى بأحرف عربية على يد **المطران ملاتيوس نعمة**، و استمرت في الطباعة حتى 1899. كما ساهم المسيحيون العرب في محاربة سياسة التتريك التي انتهجتها **جمعية الاتحاد و الترقي**، فبرز في حلب خصوصا المطران **جرماتوس فرحات**، و **الخوري بطرس التلاوي**، و أيضا لعبت الجامعات المسيحية دورا رياديا في ازدهار الحضارة و الثقافة العربيتان مثل ذلك **الجامعة الأمريكية** و **جامعة القديس يوسف في بيروت**، و **جامعة الحكمة** في بغداد (العراق). و في مجال الأدب نذكر **جبران خليل جبران**، و **ميخائيل نعيمة** و **مي زيادة** و **أمين الريحاني** و **نسيب عريضة** و **ندرة حداد و شفيق المطوف** و **إلياس فرحات** و **فرانسيس مراش** و أخته **مريانا مراش**، و في السياسة نجد **نجيب العازوري** و **شكري غانم** و **يعقوب صروف** و **فارس نمر** و **عبد الله مراش** و **بطرس غالي**.

و نظرا لهذا الدور المتزايد الذي لعبه المسيحيون العرب في السياسة و الثقافة قامت الحكومة العثمانية بتوظيف وزراء مسيحيين من العرب منهم **آل ملحمة** في لبنان و في الاقتصاد برزت عدد من العائلات

المسيحية مثل **آل سرقس** و **آل خازن** و **أل بسترس** في الشام و **آل ألسكاكيني** و **أل غالي** و آل ثابت في مصر.

ـ خاتمة

و هكذا نعرف من خلال هذا العرض أن البلاد العربية و الإسلامية في المشرق و المغرب العربي عاشت نهضة فكرية علمانية و قومية و إصلاحية حديثة بكل أطرافها الإسلامية و المسيحية، متأثرة بالحضارة العلمية و الثقافية و السياسية الأوروبية، و قاومت الاستبداد الذي مارسته الدولة العثمانية التي شكلت ركيزته **جمعية الاتحاد و الترقي** و **سياسة التتريك**، و من ثم كانت الدعوة إلى الديمقراطية و حرية الرأي و فصل الدين عن الدولة و تسيير مختلف الشؤون الاجتماعية و الاقتصادية، مع المحافظة على المكانة الروحية و الأخلاقية للدين ندرك أن المسيحيين العرب كانوا يمثلون أحد أعمدة النهضة العلمانية العربية المعاصرة، مما سمح بظهور عدد من المفكرين العلمانيين عملوا على اقاظ الوعي العربي القومي و الاجتماعي و السياسي، من بينهم فرح أنطوان، شبلي الشميل، سلامة موسى قاسم أمين، علي عبد الرازق و غيرهم.

إعداد

د/ حميد مخوخ

جامعة خميس مليانة

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية – قسم العلوم الاجتماعية – شعبة الفلسفة

السداسي الثاني السنة الجامعية 2021 / 2022

المستوى: السنة الأولى ماستر - تخصص: فلسفة عربية إسلامية

المادة: الفكر العلماني في عصر النهضة العربية المعاصرة - اسم الوحدة: استكشافية

أستاذ المادة: د / حميد مخوخ

المحاضرة الثالثة

شبلي الشميل و جهوده الفكرية

اشتهر الطبيب " شبلي الشميل " بفكره العلماني و الدفاع عنه بعناد و صراحة، و تأثر كثير بفلسفة " هربرت سبنسرSpenser " و " هكسلي Huxley " و " بوخنر Bchner "و " لامارك Lamark"، و أيضا بأفكار داروين التطورية و قانون الانتقاء الطبيعي البقاء للأقوى، اعتقد شبلي الشميل أن العلم هو الدين الجديد للإنسانية و المفتاح الحقيقي لاكتشاف و تفكيك ألغاز الكون، و تحرير الإنسان من القيود السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية التي تستعبده و تحتقره، كما اعتقد أن العلوم الطبيعية هي أم العلوم الحقيقية و يجب أن تحظى باهتمام بالغ و تعميمها و نشرها على نطاق واسع خاصة في التربية و التعليم، نبذ المناهج الدراسية العقيمة و البالية التي كانت تطبقها المؤسسات الدينية في المدارس و التعليم، و من أجل ذلك ناد بضرورة هدم مدرسة الحقوق المصرية استبدالها بمراكز لدراسة الكيمياء و الطبيعيات و الميكانيك و الرياضيات، و هي علوم تساعد الطلاب على فهم أحسن للواقع الطبيعي، و الاهتداء إلى بناء حضارة جديدة قائمة على أسس علمية دقيقة و واقعية، و من ثم قال بأن فصل الدين عن الدولة مبدأ أساسي و جوهري لأي شكل من أشكال التقدم الاجتماعي.[1]

كان شبلي الشميل أول من دعا بالأفكار الداروينية التطورية و قانون الانتقاء الطبيعي، و الفلسفات المادية في العالم العربي، و ذلك تحت تأثير فلسفة " هربرت سبنسر " الذي جعل التطورية الداروينية مبدأ فلسفي لتفسير الحياة الاجتماعية، نشر في عام 1884 ترجمة عربية لكتاب " بوخنر " عن مذهب داروين في انتقال الأنواع و ظهور العالم العضوي و اطلاق ذلك على الإنسان، مع بعض التصرف في الشروحات و الترجمة، كما نشر مقالات عدية في بعض الصحف و المجلات، خاصة مجلة " المقتطف" التي أنشأها اللبنانيان المسيحيان يقوب صروف (1852 – 1927) و فارس نمر (1856 – 1951)،

[1]- محمد كامل ضاهر، **الصرع بين التيارين الديني و العلماني (في الفكر العربي الحديث و المعاصر)**، ص 2216 -217.

يدافع من خلالها عن أفكاره المادية و إيمانه بفلسفة داروين في النشوء و الارتقاء و الصراع من أجل البقاء.

اعتقد شبلي الشميل بأن العالم هو حصيلة القوة و المادة و أن القوة إحدى حالات المادة مما يدل على وحدة الطبيعة، و أن الفكر نفسه هو عبارة عن وظيفة لأصل مادي و الدماغ، فالإنسان يتصل بالعالم الحسي و لا يجد فيه شيء من اتصاله بعالم الغيب و الروح، لأن جميع العناصر التي تؤلفها موجودة في الطبيعة، و جميع القوى التي تعمل فيه تكون بحكم الطبيعة، فالفرق بين الكائن الحي من الناحية الفيزيولوجية و الجماد من الناحية الكيميائية فرق في الكمية و ليس في الكيفية، و في الصورة و ليس في الماهية، و في العرض و ليس في الجوهر، و من ثم فجميع معارف الإنسان مكتسبة عن طريق التجربة و الحواس، و لهذا قال بخلود المادة فهي لا تزول إلا من حيث الصورة و إنما هي دائمة من حيث الجوهر، و قد قادته هذه النظرية إلى القول بالنشوء الذاتي للحياة على الأرض وفق قوانين الطبيعة الثابتة لا يشوبها خلل في الكل و الجزء و لو حصل فيها شيء غير ذلك لوجب أن يفسد النظام كله.[1]

استمد شبلي الشميل آراءه الأساسية في تطور الطبيعة من رأي هربرت سبنسر القائل بأن التطور هو انتقال المتجانس البسيط إلى غير المتجانس المعقد، و من ثم فالمجتمع الإنساني حسب رأي شبلي الشميل مثل الطبيعة مسير بقوانين محددة عقليا، و أي إشارة إلى حكم خارج نطاق الطبيعة إنما هو استهزاء بالعقل الإنساني و تضليلا له، و بالتالي فالتطور بوصفه تقدما تدريجيا هو القانون الأساسي للوجود، و خليق بالإنسان أن يحيا وفقا للطبيعة الإنسانية و قوانين التطور، كم أن المجتمع يجب أن يتطور تبعا لنفس القوانين التي تتطور بموجبها الطبيعة.[2] و من خلال هذا التحليل يتوصل شبلي الشميل إلى الاستنتاج أن النظام الاجتماعي الأمثل هو النظام الذي تعمل عناصره بانسجام من أجل الخير العام، فالتعاون هو القانون الأسمى للإنسان و النقيض لكل تعصب ديني أو قومي.[3] كما يترتب عن القول بنظرية التطور في الحياة الاجتماعية حسب شبلي الشميل أن القوانين التي تسير كل مجتمع ليست قوانين أبدية مطلقة معصومة من الخطأ بل هي تتطور تدريجيا وفق حاجات الإنسان و قضاياه، و من ثم فقد يؤدي تحجرها و استبدادها إلى قيام الثورة عليها بهدف انقاذ المجتمع من الهلاك، و بالتالي يجب إعطاء فرصة للشعب أن يضع تلك القوانين بنفسه.[4]

---

[1]- محمد كامل ضاهر، **الصرع بين التيارين الديني و العلماني (في الفكر العربي الحديث و المعاصر)**، ص 217 -218.

[2]- اسماعيل مظهر، **شبلي الشميل**، القاهرة ، 1946، ص 135.

[3]- ز.ل ليفين، **الفكر الاجتما.عي و السياسي الحديث في لبنان و سوريا و مصر**، ص 258.

[4]- ز.ل ليفين، **الفكر الاجتما.عي و السياسي الحديث في لبنان و سوريا و مصر**، ص 258.

لكن من جهة أخرى يرى شبلي الشميل أنه من الصعب الاتفاق على معنى الخير العام إذا لم تتوفر الحرية و خاصة حرية الفكر، ففي الحكم الاستبدادي مثلا يسيطر الفرد الحاكم على الآخرين بالقوة لمصالحه الشخصية على حساب مصالح الشعب، و من هنا تختفي فكرة الخير العام لتحل مكانها فكرة الخير الخاص مما يؤدي إلى ضعف الأمة و تتهاوى أركانها، و لهذا هاجم شبلي الشميل النظم التيوقراطية و الاستبدادية باعتبارها منافية للعقل و معرقلة لمسار التطور الإنساني. و في هذا السياق ألف كتابا بعنوان " شكوى و أمل " وجهه للسلطان العثماني عبد الحميد باشا يشكو فيه من غياب ثلاث فضائل و هي: العلم، العدل، و الحرية، فالإرادة العمة حسبه يجب أن تتغلب على الإرادة الخاصة، و هذا لن يتحقق إلا بوحدة اجتماعية تقوم عليها بما تقتضيه من فصل الدين عن السياسة، كون الأديان تفرق و لا توحد لذلك فكلما قوة الأمة ضعف الدين و العكس أيضا، و لو لم تقيد الديانة حرية الشعب لكانت علة شفاء للإنسان في دنياه،[1] و لهذا ففساد رجال الدين القائمين هم السبب في فساد الأديان بكونهم يزرعون بذور الشقاق بين الناس، فيضعف المجتمع بذلك.[2]

ففي رأي شبلي الشميل أن أوروبا لم تصبح قوية و متحضرة إلى عندما قامت حركة الإصلاح الديني و الثورة الفرنسية التي دعت إلى فصل الدين عن الدولة، و حطمت بذلك سلطة رجال الدين على العقل، و أحرى أن ينطبق ذلك على المجتمعات الإسلامية أذ أن رجال الدين المسلمين هم السبب في ضعف الأمة الإسلامية و ليس الإسلام كدين و عقيدة، و هذا الموقف في الحقيقة هو رد شبلي الشميل على أحد المفكرين الغربيين الذي كتب كتابا بعنوان " مصر الحديثة " يقول فيه بأن الإسلام أخفق كنظام اجتماعي و أنه في طريق الزوال، كونه غير قابل للتكيف مع متطلبات الحضارة الحديثة و بالتالي فانحلاله ضرورة لا مفر منها، و الرأي الذي أثار ضجة كبيرة و ردود أفعال من طرف علماء الدين المسلمين.[3]

كان في عصر شبلي الشميل نقاش واسع في الفكر الأوروبي حول قضية الاشتراكية و ملكية الثروة في المجتمع، و كان بطرس البستاني أول من قدم عرضا منهجيا باللغة العربية للإيديولوجيا الاشتراكية و اتجاهاتها المادية عرف بأبرز دعاتها، و قد كان اهتمام المثقفين المسيحيين العرب بالاشتراكية من خلال سعيهم إلى إقامة نظام اجتماعي و سياسي على أسس العدالة و الحرية و المساواة، و مع أوائل القرن 19 بدأت الصحف اللبنانية الصادرة في مصر تتعرض للمشاكل الاقتصادية و الاجتماعية و النظريات الأوروبية بشأنها، و من بينها التعاليم الاشتراكية، و كان يعقوب صروف في مجلته " المقتطف " و جورجي زيدان في مجلته " الهلال " و فرح أنطوان في مجلته " الجامعة " من

---

[1]- ـ محمد كامل ضاهر، **الصرع بين التيارين الديني و العلماني (في الفكر العربي الحديث و المعاصر)**، ص 219.
[2]- ألبرت الحوراني، **الفكر العربي في عصر النهضة**، ص 300.
[3]- ز.ل ليفين، **الفكر الاجتما.عي و السياسي الحديث في لبنان و سوريا و مصر**، ص 255 – 257.

المفكرين أوائل الذين حللوا وعرضوا تلك التعاليم الاشتراكية و شرحوا مبادئ عقيدتها لكنهم بقوا المجال الوصفي لأنهم رأوا أنه يتعذر تحقيقها عمليا في ذلك الوقت، و أن الاشتراكية في الحقيقة ظهرت في أوروبا كحركة سياسية اجتماعية تهدف إلى إصلاح ما فسد من النظم القائمة، مما يجعلها حركة إصلاحية مقبولة من طرف الجميع.[1]

أما الاشتراكية كالتزام سياسيو اجتماعي فقد كان شبلي الشميل و فرح أنطوان من أوائل الداعين إليها محملين الدولة مسؤولية إصلاح المظالم القائمة في المجتمع، و هذا يشترط في رأي شبلي الشميل إصلاح الدولة أولا، و التي جعلتها البورجوازية أداة في يدها لخدمة مصالحها، إذن فالجمهورية الحقيقية حسبه يتم فيها توزيع الأعمال على قدر المنافع العمومية، بحيث تتوفر فيها المنفعة للجميع دون تمييز، الحكومة الوحيدة القادرة على تحقيق ذلك هي الحكومة الجمهورية الديمقراطية التي تكون فيها الأمة أي الشعب صاحب القرار، و لهذا كان شبلي الشميل يؤمن بحتمية تحقيق الاشتراكية مهما طال الزمن، لأنها تقوم على قوانين طبيعية، و أن ثورة العمال ضد البورجوازيين هي ثورة قوى العقل المنبسط ضد فساد النظام و الأحكام، و هو الحلم الذي كان يراود كل من فرح أنطوان و شبلي الشميل، أي مجتمع يتحرر فيه الإنسان من كل أنواع القهر و الحرمان، و يكون العمل أساس دخل فرد على أن تتولى الدولة تنظيم ذلك لضمان العدالة في المجتمع و رفع الظلم، لأن الظلم الاجتماعي و الاقتصادي هما سبب الصراع داخل المجتمع و ليس نتيجة للتطور الاجتماعي، غير أن شبلي الشميل لا يدعو في اشتراكيته إلى تأميم وسائل الانتاج و القضاء على الملكية الفردية، لأن في رأيه الاشتراكية الصحيحة لا تقوم على المساواة المطلقة بين الأفراد، و إنما على المشاركة العادلة في الفوائد بين العمال و رأس المال.[2]

ـ الخاتمة

و هكذا نخلص في هذا التحليل لجهود شبلي الشميل الفكرية ،ه كان من دعاة العلمانية في الفكر العربي الحديث الذي يدعو إلى فصل الدين كل الشؤون الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية، و هو استجابة لظروف سياسية و الاجتماعية و اقتصادية كانت تعيشها البلاد العربية خاصة تحت سلطة الإمبراطورية العثمانية من جهة و تأثره بالحضارة العلمية و الفكرية التي أفرزتها النهضة الغربية الحديثة، و التي تسربت إلى البلاد العربية الإسلامية عن طريق البعثات العلمية إلى أوروبا، و أيضا دور المسيحيين في نشر الثقافة الغربية، مما جعل شبلي الشميل من الذين مهدوا طريق الديمقراطية في البلاد العربية و الإسلامية.

إعداد: د/ حميد مخوخ

---

[1]- محمد كامل ضاهر، **الصرع بين التيارين الديني و العلماني (في الفكر العربي الحديث و المعاصر)**، ص 220.

[2]- المرجع نفسه، ص 221 - 222

جامعة خميس مليانة
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية – قسم العلوم الاجتماعية – شعبة الفلسفة
السداسي الثاني السنة الجامعية 2021 / 2022
المستوى: السنة الأولى ماستر - تخصص: فلسفة عربية إسلامية
المادة: الفكر العلماني في عصر النهضة العربية المعاصرة - اسم الوحدة: استكشافية
أستاذ المادة: د / حميد مخوخ

المحاضرة الرابعة

فرح أنطوان و جهوده الفكرية

كان فرح أنطوان من الذين نشروا الأفكار الجديدة التي كانت لها طابع علماني متأثر بالحضارة الفكرية الغربية، و عملت الصحافة و الترجمة على الترويج لهذه الأفكار و إيصالها إلى عقول الأجيال العربية التر تسعى إلى امتلاك الثقافة العلمية.

لم يكن فرح أنطوان من الذين لهم مستويات أكاديمية عليا بل كان عصاميا لم يتعدى مستواه الدراسي المرحلة التكميلية، و مع ذلك استطاع أن يحصل على ثقافة غنية بالمعارف العلمية المختلفة، عرض بعضها في محلته الشهيرة " الجامعة " و البعض الآخر فيما ترجمه و ألفه من الكتب، كان أول من كتب بالعربية عن بوذا و كونفوشيوس، و عرف بفلسفة تولستوي، و شريعة حمورابي و أفكار روسو، و فلسفة أوغست كونت، و أول من ترجم كتاب ارنست رينان عن حياة المسيح، و كتاب 'خر عن ابن رشد و فلسفته، و كتاب فريدريك نيتشه "هكذا تكلم زرادشت "، و أشهر روايات ماكسيم غوركي و غيرها من مؤلفات الغرب العصاميين، كما كان من أوائل المثقفين العرب الذين أطلعوا على تعاليم كارل ماركس، و أول من وضع قصص و مسرحيات ذات مضمون اجتماعي.[1]

حارب فرح أنطوان كثيرا الاتجاهات التقليدية و مفاهيمها البالية و استطاع أن يضع لنفسه منهجية جديدة في التفكير و التحليل و التقييم، إذ ذهب في تفكيره العلمي إلى أن القول بأن القوانين الطبيعية هي التي تتحكم في جميع الكائنات من جماد ة نبات ة حيوان و إنسان، و بالتالي ليست للإرادة الإلهية أي دور في هذا المجال، فباستطاعة الإنسان تحقيق ذاته و سعادته في الواقع الملموس الذي يشارك في صنعه كل الناس، و كلما اشتدت مشاركة الإنسان في صنع واقعه كانت سعادته أكثر وضوحا و كمالا، و يستنتج من كل ذلك أن الإنسانية وحدها خالدة دون سواها، و أنه لن يكون بعد الموت حياة فردية و لا

[1]- محمد كامل ضاهر، **الصرع بين التيارين الديني و العلماني (في الفكر العربي الحديث و المعاصر)**، ص 214 – 215.

شيء مما يقوله العامة عن الحياة الثانية.[1] كما قال ايضا أن قوة هائلة تعمل على تطوير الإنسان و المجتمع و هي قوة المادة الآخذة في الامتداد إلى أرجاء العالم كله بسبب حالة تتقوض فيها المبادئ القديمة، و تقتلع فيها القوانين و يتحطم الدين و الأخلاق، و يخلص إلى القول بأن الالتفاف حول لواء الدين يمكن الأمم الإسلامية من مستوى الغرب الحضاري ذاته، و هو المستوى الذي توصل إليه بالتقدم العلمي هو في بساطة تجاهل لطريقة تطور الحضارات، و فشل في فهم الطبيعة الإنسانية.

و في المجال السياسي دعا فرح أنطوان إلى الفصل بين السلطة الروحية و السلطة المدنية، كما دعا إلى ديمقراطية لا يحكم فيها الحاكم وفقا لإرادته الخاصة أو آرائه الشخصية، بل على ضوء القوانين التي يضعها الشعب عن طريق ممثليه الذين ينتخبهم بكل حرية، فالشعب يجب أن يكون هو السيد، و إلا ساد الاستبداد و الفوضى، لذلك يجب أن يكون مجلس النواب أعلى من الحاكم نفسه.[2]

ـ الخاتمة

هكذا يتبين لنا من خلال هذا التحليل لطروحات فرح أنطوان أنه حاول أن يحرر الشعب من هيمنة التيار الديني على العقل و تحقيق مصالحه بناء على العقل و العلم و الفلسفة و ذلك من أجل خلق مجتمع متماسك قادرا على مواكبة الحضارة العلمية الحديثة و حل المشكلات الكبرى في جون من حرية التفكير و التعبير و النقد العقلاني، لأذلك أعطى للعلم أهمية كبيرة أنه الوسيلة الأساسية لتحقيق الرقي و الخروج من التخلف.

[1]- فرح أنطوان، **رنان و أفكاره العجائب**، مجلة الجامعة، المجلد الثالث – القاهرة 1902 ، ص 620.
[2]- ألبرت الحوراني، **الفكر العربي في عصر النهضة**، ص 308 – 309.